لَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ

إِنْتَهَيْنَا وَلَمْ نَدُمْ طَوِيلًا،
الْوَجَعُ الَّذِي خَلَّفَهُ غِيَابُهَا جَعَلَ قَلْبِي عَلِيلًا،
يُضَاهِي عُمْرًا مَدِيدًا،
مُنْذُ رَأَيْتُهَا كَائِنًا فَرِيدًا،
بَأَنَّهَا مَنْ انْتَظِرَهُ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيداً.

كَتَبْتُ عَنْهَا كَثِيرًا،
حَلِمْتُ إِلَى جَانِبِهَا بِالْمُسْتَقْبَلِ جَزِيلًا،
حَفَرتُ كُلُّ كَلِمَةٍ لَهَا فِي عُمْقِ فُؤَادِي،
وَبَكَيْتُ لِفِرَاقِهَا بُكَاءً مَرِيرًا.

اِسْتَسْلَمْتُ لِفِكْرَةِ أَنِّي وَجَدْتُهَا
بَعْدَ سِنِينٍ مِنَ الْبَحْثِ، وَتَفَوَّقَتُ عَلَى أَفْكَارِي.
رَأَيْتُ فِيهَا صَدِيقًا أُشَارِكهُ أَسْرَارِي،
حَبِيبًا سَأَشِيخُ مَعَهُ، وَأَنجمُ فِيهِ أَقْمَارِي
حَتَّى يُبَاغِتَنَا الزَّمَنُ بِالْوَدَاعِ الأَخِيرِ.

وَهَكَذَا حَتَّى عَثَرْتُ عَلَيْهَا طَالَ اِنْتِظَارِي،
وَفَجْأَةً لَمْ تَدُمْ سَنَةً وَاحِدَةً وَتَخْتَفِي، وَتُحَطم كُلُّ الأَقْدَارِ.
حَلِمْتُ مَعَهَا أَشْيَاءَ أَعْمَقَ مِنْ أَنْ تُعَاشَ وَاقِعًا، جَمِيلَةَ الأَمَانِي.
وَالْيَوْمَ مَرَّتْ بِسُرْعَةٍ، وَاخْتَفَتْ وَبَقِيتُ أَنَا فِي مَكَانِي،
أُحَاوِلُ نِسْيَانَ أَحْلَامِي، أُحَاوِلُ نِسْيَانَ آلامِي.
غِيَابُهَا حَطَّمَ فِيَّ كُلَّ مَا هُوَ إِنْسَانِي،
أُحَاوِلُ نِسْيَانَ أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ وَثِقْتُ فِعْلًا.
وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ بَعْدَ سِنِينَ تَعَرضْتُ لِلْخِذْلَانِ.
نَحْنُ اِنْتَهَيْنَا،
وَسَأَبْدَأُ مِنْ جَدِيدٍ لِوَحْدِي دُونَهَا هِي.
فَأَيْنَ هِيَ؟ حَتَّى ظِلُّهَا اخْتَفَى مِنْهُ الْوِجْدَانِ،
لَنْ أَرَاكِ بَعْدَ الْيَوْمِ كَمَا كُنْتُ أَرَاكِ،
هَا قَدْ وَضَعْتُكَ فِي قَائِمَةِ النِّسْيَانِ،
وَوُجُودِي فِي حَيَاتُكِ سَيَكُونُ عِقَابًا لِلْحِرْمَانِ.
لَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ ثَانِيَةً، لَنْ أَعُود،
لَا أَحَدَ لِفِرَاقِ أَحَدٍ يُمِيت،
وَكَمَا كُنْتِ شَخْصًا غَرِيبًا، هَكَذَا أَنْتِ مَرْحَلَةٌ وَتَفُوت.
قَاتَلْتُ بِشَرَفٍ لِتَكُونِ لِي، وَتَنَازَلْتُ مِنْ أَجْلِ الْوُعُود.
وَالآنَ أَمْضِ كَلِوَاءٍ مَهْزُوم، لَمْ يَعُدْ لَدَيَّ شَيْءٌ لِأُقَاتِلَ مِنْ أَجْلِهِ،
بَعْدَ أَنْ كُسِرَتَ كُلُّ الْقُيُود، وَنُقِضَتَ كُلَّ الْعُهُود.
لَنْ أَعُودَ إِلَيْكَ، لَنْ أَعُود.